٦٤٤هـ/١٢٤٦م وانشأ بها قصوراً وسوقاً وجامعاً[١]، وبنى مناظر الكبش وهو قصر عظيم خارج باب الزويلة بين مصر والقاهرة وأصبحت بعد وفاته من المنازل الملوكية، وانشأ أيضاً قنطرة السد التي تقع في الخليج الكبير ولها قوسان[٢]. وبنى مناظر اللوق على جانب جانب البحر وبجانبها الميدان، وغيرها من المناظر والقصور التي يتردد إليها الناس للنزهة[٣].

ومما يلفت النظر من اثر الكرد العمراني في مصر وبلاد الشام قبيل العهد المملوكي كثرة الاهتمام بالعمارة الدينية والتعليمية، والتي تتجلى في بناء المدارس والمساجد ودور الحديث والخانقاهات التي تعكس غلبة النزعة الدينية، واهتمام الكرد برعاية أماكن التعبد ومؤسسات التعليم حفظاً للدين وصيانة للمذاهب ومواكبة للتطور الحضاري.

شهدت الديار المصرية تطوراً حضارياً لافتاً للنظر نتيجة قيام الأسرة الأيوبية ونظراً لاهتمام ملوك بني أيوب بالعلم دخلت مصر في دور حضاري جديد[٤]. ويذكر الصفدي ((أن السلطان صلاح الدين سلك طريق نور الدين - رحمه الله- وحذا حذوه واتبع آثاره في عمارة المساجد والخوانق والربط والزوايا والمدارس، واربى علي نور الدين في جميع ذلك))[٥].

ومما لاحظه الرحالة ابن جبير من مآثر السلطان صلاح الدين الأيوبي انه أمر بعمارة محاضر الزمها معلمين لكتاب الله يعلمون أبناء الفقراء والأيتام وتجري عليهم الجراية[٦].

اهتم السلطان صلاح الدين بإقامة المدارس السنية وذلك ليقابل بسلاح العلم المذهب الشيعي الذي سيطر على البلاد المصرية لأكثر من قرنين. إذ جعل حبس المعونة الفاطمية مدرسة للشافعية عرفت بالمدرسة الناصرية أو المدرسة الشريفية وهي مجاورة

---

[١] ابن اياس، مصدر سابق، ص١٨٦.
[٢] المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١١٣، ١٣٣، ١٤٦، ويقارن مع ابو الفدا، مصدر سابق، سابق، ج٣، ص ١٨٠.
[٣] الحنبلي، مصدر سابق، ص ص٣٨١-٣٨٢.
[٤] السيد الباز العريني، مصر في عصر الأيوبيين (القاهرة:- د.ت)، ص٢١٩.
[٥] تحفة ذوي الالباب، ج٢، ص٨٥.
[٦] رحلة ابن جبير، ص٢٥.

لجامع عمرو ابن العاص وكانت لها أوقاف[1]. وبنى للمالكية المدرسة القمحية ووقف عليها الأوقاف وهي من المدارس المشهورة تخرج منها علماء مشهورون[2].

وتعد المدرسة السيوفية من أولى المدارس التي أوقفت لتدريس المذهب الحنفي وقفها السلطان صلاح الدين في سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م[3]. أما المدرسة الصلاحية التي كانت تعد من أعظم المدارس فقد أنشأها السلطان صلاح الدين بجوار ضريح الإمام الشافعي، وكان يدرس فيها الفقه الشافعي وتولاها شيوخ كبار[4]. وحصل الآثاريون على قطعة أثرية فريدة لتلك المدرسة تبين أنها بنيت لفقهاء الشافعية في شهر رمضان سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م[5]. وانشأ خارج مصر المدرسة الصلاحية والمدرسة الناصرية الجوانيه وهي من المدارس الحنفية بدمشق شمالي الجامع الأموي[6]. وكان له بالقدس مدرسة وخانقاه كذلك[7]. ووقف زاوية بجوار المسجد الأقصى بيت المقدس سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[8].

وكان السلطان صلاح الدين عمر بعض المساجد والخانقاهات، إذ جد الجامع العتيق أو جامع عمرو بن العاص ورخمه وأزيل شعته وازداد من عمرانه[9]. وبنى الخانقاه المعروفة

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٨٨، ٣٦٣، البقاعي، تاريخ البقاعي، دراسة وتحقيق:- محمد سالم بن شديد الحوفي (دار هجر للطبع:-٩٩٣)، ق١، ص٣٤٧.

(٢) ابن دقماق، كتاب الانتصار لواسطه عقد الامصار (بولاق:- ١٩٨٣)، ق١، ص٩٥، عفاف سيد محمد صبره، المدارس في العصر الأيوبي، بحث منشور في كتاب (تاريخ المدارس المصرية) أعدّه للنشر عبد العظيم رمضان، (القاهرة:- ١٩٩٢)، ص ص١٥٢-١٥٣.

(٣) المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٣، الحنبلي، شفاء القلوب، ص١٨٩، السيد الباز العريني، مصر في عصر الأيوبيين، ص٢٢٢.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٧٩، الحنبلي، م.ن، ص١٨٨-١٨٩، علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة (القاهرة:- ١٩٨٧)، ج٦، ص٢١.

(٣) Wietg. ET. Houtecoeur L, Les Mosquees du caire (Paris: 1932), p. 101.

(٦) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص ص٢٥٠-٢٥١، ص٣٥٠، ابن كنان، حدائق الياسمين، ص١٥١.

(٧) النويري، نهاية الارب، ج٢٧، ص٤٠٥ " شاكر مصطفى، صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه. (دمشق:- ١٩٩٨)، ص٣٩٣.

(٨) العليمي، الانس الجليل، ج٢ / ص٣٤.

(٩) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الامصار، ق١، ص٦٩.

بـ (سعيد السعداء) وكان في الأصل داراً لأحد خدام القصر الفاطمي أسمه أستاذ قنبر قتل سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وجعلها السلطان صلاح الدين برسم الفقراء الصوفية ووقفها عليهم[١].

حذا ملوك البيت الأيوبي حذو السلطان صلاح الدين في المواظبة على إنشاء المدارس والوقف عليها، إذ بنى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي صاحب حماه (ت ٥٨٧هـ/١١٩١م) مدرسة منازل العز بمصر ووقف عليها وقفاً كثيراً وكانت له في بلاد الفيوم[٢] مدرستان شافعية ومالكية[٣]. وانشأ بدمشق المدرسة التقوية للشافعية ظلت قائمة إلى أواخر العصر المملوكي [٤].

أما ابنته الست عذراء (ت٥٩٣هـ/١١٩١م) فقد بنت المدرسة العذراوية بمدينة دمشق[٥]. وكانت حظ الخير خاتون زوجة شاهنشاه بن أيوب وقفت المدرسة الفرخشاهية في مدينة دمشق. وكانت تقع عند المدخل الغربي للمدينة[٦]، وبنى الملك العزيز بن صلاح الدين ت ٥٩٥هـ/١١٩٩) المدرسة العزيزية بدمشق وهي تقع بجانب الجامع الأموي[٧].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤١٥، الطولوني، النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية، نشر نشر ضمن كتاب التحفة البهية والطرفة الشبهة، تحقيق:- لجنة احياء التراث العربي بدار الافاق الجديدة، (بيروت:١٩٨١م)، ص١٣٥، ل. أ سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة حسن بيومي (القاهرة:- ١٩٩٨)، ص١٠٦.

(٢) الفيوم:- كورة في ديار مصر تقع في جهة جنوب غرب الفسطاط، ابو الفدا، تقويم البلدان، تحقيق: ماك كوكين ديسلان (باريس: ١٨٤٠)، ص١١٥.

(٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٤٥٦، المقريزي، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٨٥-٤٩٨، ج٢ ص ص ٣٦٤-٣٦٥، عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصرفي العصر الأيوبي والمملوكي الاول، ص١٦٣.

(٤) النعيمي، الدارس، ج١، ص ص ١٦٢-١٦٨، احمد احمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية (القاهرة:- ص ص ٦٣-٦٤).

(٥) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١١، الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ووفيات (٥٩١-٦٠٠هـ)، عمر عبدالسلام تدمري (بيروت:١٩٩٧م)، ص١٣٧، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٩٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٥.

(٦) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، تحقيق: سامي الدهان (بيروت: ١٩٥٦)، ج٢، ص٢١٩، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٤٣١.

(٧) ابن الفوطي، تلخيص مجتمع الآداب من معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد (دمشق:١٩٦٢)، ج٤ ق١، ص٤٢٠" أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٢٦، النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٠.

وبنى بعض أمراء الكرد في مصر عدداً من المدارس منها المدرسة القطبية وهي تعد من المدارس المشهورة بناها الأمير قطب الدين خسرو بن تليل في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م وهي من المدارس الشافعية[١].

واشتهر الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب برعايته للعلم والعلماء وقام خلال حقبة حكمه بإنشاء المدرسة الظاهرية بحلب وبنى مدرسة أخرى أيضاً للشافعية بظاهر الحلب في سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م [٢].

وبنى الملك العادل المدرسة العادلية بدمشق التي لا نظير لها في بنيان المدارس[٣]. وبنى جامع المصلى في الميدان الوسطاني خارج محلة ميدان الحص[٤] جعله لصلاة العيدين ويعد من أكبر الجوامع[٥] ووقف دارين للحديث في مدينة حلب[٦].

وأنشأت الست الجليلة عصمة الدين خاتون ابنة الملك العادل في سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م مدرسة للشافعية عرفت بالقطبية وهي تقع ببداية حارة زويلة بالقاهرة [٧]. وبقيت عامرة إلى العصر الحديث[٨]. فضلاً عن ذلك فقد كانت عصمة الدين واقفة لمدرستين في مدينة دمشق[٩]، أما المدرسة العادلية الصغرى فكانت منشئها زهرة خاتون بنت الملك العادل[١٠] وتعد الصاحبة الملكة ضيفة خاتون من اشتهر بنات الملك العادل، إذ أنشأت مدرسة وتربة أرباطاً بحلب ورتبت فيها عدداً من الفقراء والفقهاء والصوفية وكانت

---

[١] المقريزي، مصدر سابق، ص٣٨٧، ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج٦، ص١٦..

[٢] ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص ص١٠٣-١٠٧، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢١٨.

[٣] النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٧٣.

[٤] محلة الميدان هي أحد أربعة ميادين في دمشق وتنقسم إلى الميدان التحتاني والميدان الفوقاني، ينظر:- عز الدين محمد عربي، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية (دمشق: ١٣٣٠هـ)، ص٢٣.

[٥] ابن شداد، مصدر سابق، ج٢، ص١٥٨.

[٦] ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص١٢٣.

[٧] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٩١.

[٨] علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج٦، ص٣٥.

[٩] الحريري، الاعلام والتبين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين (الاسكندرية:- ١٤٠٤هـ ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م)، ص٥٠.

[١٠] النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص٢٧٨.

المدرسة تعرف بمدرسة الفردوس[1] وبنت أيضاً خانقاهاً في حلب داخل باب الأربعين [2].

وأوقف الأمير غازي بن الملك العادل في سنة ٥٦١٣هـ/١٢١٦م مدرسة الدركاة في بيت المقدس[3].

---

[1] ابن شداد، مصدر سابق، ج١ ق١، ص١٠٨، ابن شحنة، مصدر سابق، ص١١٣.

[2] ابن شداد، مصدر سابق، ج١ ق١، ص٩٥، رضوان دعبولي (المشرف)، تراجم اعلام النساء (بيروت:-١٩٩٨م)، ص١٩٣.

[3] العليمي الحنبلي، الانس الجليل، ج٢، ص٤٧.

وفضلاً عن بنات الملك العادل تعد ست الشام بنت أيوب (ت ٦١٦هـ/١٢٢٠م) من أميرات البيت الأيوبي التي اشتهرت بنشاطاتهن الحضارية وهي ((من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج، وكانت تعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك وتفرقه على الناس))[١]، وبنت مدرستين في مدينة دمشق ووقفت عليهما أوقافاً كثيرة [٢]، هذه الإسهامات الحضارية لأولئك الأميرات الكرديات توضح لنا أن شرف إقامة المؤسسات التعليمية لم يكن حصراً على الرجال فقط، وكونهن نساء لم يمنعهن من تحصيل ملكة الوعي الحضاري وتشجيع العلم من خلال بناء المدارس الذي يدل على مكانتهن وعلو شأنهن.

وساهم بعض أمراء الكرد في الشام مساهمة فعالة في عملية بناء المؤسسات العلمية التي حاكوا بها الدولة الأيوبية وملوكها ومن أولئك الأمير بدر الدين إبراهيم الهكارى الذي استشهد في سنة ٦١٥هـ/١٢١٩م. وكان من المجاهدين الشجعان، عينه السلطان صلاح الدين والياً على قلعة حمص[٣]، وبنى بالقدس مدرسة للشافعية ووقف عليها الأوقاف[٤]، وذلك لما تنطويها المدينة من الأهمية عند المسلمين[٥]، وبنى أيضاً مسجداً قريباً من الخليل عند قبر يونس (عليه السلام)[٦]. أما الأمير جمال الدين خشترين الهكاري الذي توفى بأربل سنة ٦١٩هـ/١٢٢٣م أيضاً فيعد من المجاهدين الكرد الذين حاربوا الصليبيين وعمّر خلال إقامته في مصر مدرسة للشافعية بالقصر في القاهرة[٧]. وهذا يدل على أن مشاركة الكرد في الذود الذود عن الإسلام والجهاد في سبيله لم يقتصر على المساهمة العسكرية فقط بل اوثروا برعايتهم للعلماء وفتح المدارس خدمة للثقافة الإسلامية ولم يفرطوا بفرصة علو مكانتهم السياسية والاجتماعية ليثبتوا مقدرتهم الحضارية.

---

[١] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٦٦.

[٢] ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١١٩، الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢٩، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص ص٢٠٨، ٢٢٨-٢٢٩.

[٣] البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق:- رمضان شيش، (بيروت:- ١٩٧١م)، ص٢٧٧

[٤] ابو شامة، مصدر سابق، ص١٠٨، ابن كثير، مصدر سابق، ج١٣، ص٦١.

[٥] ينظر:- شفيق جاسر احمد محمود، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية. (عمان:- ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م)، ص ص١٤٧-١٥٠.

[٦] ابو شامة، مصدر سابق، ص١٠٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٣٥١.

[٧] الصفدي، م.ن، ج١٣، ص ص ٣١٨-٣١٩.

وتعد المدرسة الأفضلية من أشهر مدارس القدس وقفها الملك الأفضل الأيوبي على فقهاء المالكية[1]. وبنى الملك المعظم أيضاً بالقدس مدرسة وبنى عند قبر الصحابي جعفر الطيار[2] مسجداً[3]. وأنشأ بدمشق المدرسة العادلية ودفن فيها أباه الملك العادل، وبنى بظاهر دمشق في سنة ٦٢١هـ/١٢٢٥م مدرسة للحنفية تسمى بالمدرسة المعظمية[4]. وبنى الملك المظفر نور الدين بن الملك الأمجد صاحب بعلبك المدرسة الأمجدية في دمشق حيث قتل الملك الأمجد سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م[5].

استمر ملوك بني أيوب المتأخرون على خطى أسلافهم في إنشاء المدارس والمساجد والخانقاهات، وتعدّ دار الحديث الكاملية من اشهر دور الحديث في مصر إذ بناها الملك الكامل سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م بالقاهرة ورتب لها وقفاً جيداً، كما وبنى قبة عظيمة على ضريح الإمام الشافعي (رحمه الله)[6]. وزاد من المسجد الذي كان بجوار تربة الإمام الشافعي في القاهرة ووسعه[7].

أما الملك الأشرف موسى (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٨م) فأنشأ بدمشق دارين للحديث وعمّر تربة فيها ووضع فيها من الكتب النفيسة عدة نسخ وهدم بظاهر العقيبة بدمشق خاناً يعرف بابن الزنجاري كان تجري فيه أمور قبيحة، فهدمه وعمره جامعاً عرف بجامع التوبة[8].

---

(١) العليمي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، ص٤٦. شفيق جاسر احمد محمود، القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها (عمان: ١٩٨٩م)، ص٨٣.

(٢) جعفر الطيار:- جعفر بن ابي طالب من مشاهير الصحابة استشهد بمؤته من ارض الشام في حياة المصطفى (ص) سنة ٨هـ/٦٢٩م، ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت:د.ت)، ج٤، ص٣٤-٣٧.

(٣) الصفدي، تحفة ذوي الالباب، ج٢، ص١١٠.

(٤) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص ص ٣٥٠-٣٥١، النعيمي، الدارس في تاريخ المدرس، ج١، ص ص٢٧١، ٤٤٥-٤٤٦. ابن كنان، المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية، تحقيق محمد احمد دهمان (دمشق: ١٩٤٧)، ص٤٣.

(٥) النعيمي، م. ن، ج١، ص ص١٢٦-١٣٢.

(٦) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٤٢، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص٨١، الصفدي، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٩٤، ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي (بيروت: ١٤٠٥هـ /١٩٨٥هـ)، ج٢، ص٣٠، الطولوني، النزهة السنية، ص١٣٦.

(٧) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٦.

(٨) الصفدي، تحفة ذوي الالباب، ج٢، ص١٢٧، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٨٠، ص٢٨٠، النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص ص١٥-٣٦، عبدالقادر بدران، مقاومة الاطلال ومساعدة الخيال (بيروت: ١٩٦٠)، ص٣٧٠.

واصلت أميرات الأسرة الأيوبية على أداء دورهن المميز في عملية النهوض الحضاري وعمران المدارس ودور العلم. إذ وقفت ربيعة خاتون بنت أيوب (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) مدرسة للحنابلة في دمشق وجعلت عليها الأوقاف[١]، وكانت قد أنشأت مع المدرسة مسجداً وتربة[٢].

أما المدرسة القيمرية التي بنيت في مدينة حلب سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م فتنسب إلى الأمير الكردي حسام الدين أبي الفوارس القيمري[٣]. أما المدرسة الصالحية بدمشق فقد كانت من وقف الصالح أبي الجيش بن الملك العادل (ت ٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وهي للشافعية[٤].

وعلى الرغم من أن الملك الصالح نجم الدين أيوب (ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) كان ذا طبيعة عسكرية ولكن لم تحل هذه دون اهتمامه بالعلم وفتح المدارس لنشره، إذ بنى المدارس الصالحية بين القصرين بالقاهرة وهي من المدارس المشهورة، حيث كانت تدرس فيها المذاهب الأربعة[٥]. وكانت الأولى من نوعها بمصر[٦]. وعمر الملك الصالح جامع الروضة بقلعة جزيرة الفسطاط[٧].

---

[١] ابن كثير، البداية والنهاية،، ج١٣، ص١٢٩، الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٣٠، ابن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيقي:- محمد احمد دهمان (دمشق:١٩٤٦)، ج١، ص٨٤. ياسين خير الله العمري، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق:- رجاء محمود السامرائي (بيروت: ١٩٨٧م)، ص٢٨١.

[٢] ابن عبدالهادي، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق محمد اسعد طلس، (دمشق: ١٩٧٥)، ص١٤٩.

[٣] ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١١٤.

[٤] النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٣٩، عبد القادر بدران، منادمة الأطلال، ص١١٠.

[٥] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٥٧، النويري الاسكندراني، كتاب الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية، تحقيق عزيز سوريال (الدكن:- ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ج٤، ص٧٣، الحريري، الإعلام والتبيين، ص٥٦، الغساني، العسجد المسبوك، ج٢، ص٥٠٢، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٣٧.

[٦] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٧٤، السيد الباز العريني، مصر في عصر الأيوبيين، ص٢٢٢، يذكر يذكر علي باشا مبارك بان المدرسة الصالحية عامرة إلى الآن في القاهرة وتعرف بجامع الصالح، ينظر الخطط التوفيقية، ج٦، ص٢١، ولم يبق من المدارس الأيوبية في مصر إلا المدرسة المذكورة والمدرسة الكاميلية، شريف يوسف، المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها (بغداد:- ١٩٨٢)، ص ص١٢٢-١٢٣.

[٧] المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٧.

وبعد أن تم التطرق إلى إسهامات الكرد الحضارية في سياق هذه النبذة يجب أن يذكر انه ومنذ بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وبعد أن تصاعدت نسبة التواجد الكردي في مصر وبلاد الشام ازداد دورهم الحضاري ووصل في العهد الأيوبي حداً لم يسبق له مثيل، وذلك لان الكرد كان لهم القدح المعلى في الدولة الأيوبية وازدانت بسلاطينهم وملوكهم وعلمائهم مجالس العلم ودور الثقافة، وساهموا بذلك في تلاحق الأفكار والأنظار وفطنوا إلى نهج إنشاء المؤسسات التعليمية بكثرة مما أضفى طابعاً حضارياً مميزاً على التواجد الكردي في مصر وبلاد الشام قبيل العهد الملوكي.

وربما يعدم المطالع لتاريخ الدولة الأيوبية أن يعثر فيه على ملك قليل العناية بالعلم أو فاتر في تشجيع أهله، بل نستطيع أن نقول أن كل واحد من أولئك الملوك كان إما شاعراً أو فقيهاً أو محدثاً أو ذا تصانيف ونحو ذلك[1] فضلاً عن اهتمامهم بالعمران وشؤون الناس حتى وصفت أيام دولتهم بأنها أعراس[2].

وتعد هذه ميزة فريدة تندر في التاريخ الإسلامي دولة قصيرة الأمد وتعيش في حالة حرب مستمرة مع الصليبيين ولم يصرف هذا ملوكها عن ميلهم الحضاري ولا قصر همتهم عن تشجيع العلوم والسهر على توفير الأجواء المناسبة لترقيها. ومما أعطى للدور الكرد الحضاري في تلك الحقبة تميزاً خصوصية تاريخية بروز دور المرأة الكردية الذي تجلى في كثرة الإسهامات الحضارية لخواتين آل أيوب في مجالات مختلفة تصب في الخدمة الحضارية العامة.

---

[1] عبداللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر، ص١٤٩.

[2] ينظر، ابن نباته المصري، مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، تحقيق، عمر موسى باشا، (دمشق:- ١٩٧٢)، ص٤٥٠.

الفصل الثاني

دور الكرد في الإدارة والعمران